مقـابـل النشاط الصهيوني في فلسطين في فترة الانتداب البريطاني، تلمّست الحركة الوطنية الفلسطينية، بتجلياتها السياسية المختلفة، الخطر الصهيوني منذ بداية الاستيطان اليهودي؛ لكنها تنـافست مع الحركة الصهيونية على كسب «ود» الانتداب البريطاني، انطلاقاً من وعي قاصر بأن مصلحـة بريـطانيا موالاة «الكم العربي» الكبير جغرافياً وعددياً، دون ملاحظة الطبيعة العضوية للمشروع الصهيـوني في اطار المشروع الامبـريـالي الكـوني، فقـد اعتبـرت حركة التحرر الوطني الفلسطينية نفسها جزءاً من حركة التحرر العربية التي كانت تسعى الى الاستقلال عن الاستعمار دون الخروج من اطاره (استقلال سياسي ـ اداري). ولذا، كان طابع الصراع العربي مع الاستعمار الاوروبي «تنـازعيـاً» صفتـه المسـاومـة؛ ولم يكن الوضـع ذاته بالنسبة الى الصراع اليهودي ـ الفلسطيني؛ اذ اتخذ طابع الصراع على الارض؛ أما ادارتها، فكانت موضع مساومة بين بريطانيا وكلا الطرفـين المتصارعين. فقد هدف الاستيطان الصهيوني الى تفريغ فلسطين من سكانها لاستقدام اليهود اليها واستيعابهم فيها؛ بينما تمثل الدفاع الفلسطيني في منع الهجرة اليهودية، تارة بالصراع مع المستوطنين اليهود، وأخرى بالضغط على بريطانيا للحد منه؛ واستقوت الحركة الوطنية بـ «الحكم العربي» (الشرقي)، بينما استقوت الحركة الصهيونية بعمقها، الاستعمار (الغربي).

وما زال موضوع الصراع هو ذاته، على الرغم من اختلاف تسمياته وتبدل ادواته واشكال ادارته. فالاستعمار الكلاسيكي، الذي تزعمته بريطانيا حتى نهاية الحرب العالمية الثانية، صار استعماراً حديثاً تتزعمه الولايات المتحدة؛ والحركة الصهيونية صارت دولة اسرائيل؛ وحركة التحرر العربية انجـزت بعض اهدافها (الاستقلال السياسي) وما زالت تسعى الى استكمال تحررها مع اختلاف التسميات التي حملتها خلال الفترات المتعاقبة. ومع نهوض الحركة الوطنية الفلسطينية من جديد، في ١٩٦٥، رفع الفلسطينيون شعاري «العودة» و «حق تقرير المصير»، في الوقت الذي تعمل اسرائيل على استكمال «عودة» اليهود الى فلسطين، بعد استكمالها لاستعمارها اثر حرب ١٩٦٧.

العنصر الجـديـد على خارطة العـالم، جراء الحـرب العالمية الثانية، كان الاتحاد السوفياتي بمشروعـه الكوني لاعادة صياغة العالم على اساس مفاهيم الايديولوجيا الشيوعية. وظهوره، كقوة عالميـة، خلق صراعـاً مختلفـاً عمـا ساد من قبـل بين الدول الاستعمـارية، وذلك لطبيعة الصراع الايـديـولوجيـة، ممـا احدث استقطاباً مغايراً؛ ففي حين كان الصراع السابق على بروز الاتحاد السـوفيـاتي نزاعـاً داخـل النمط الرأسمالي الواحد، صار الصراع بين نمطين مختلفين (رأسمالي واشتراكي)، كلاهما يهدف الى ترتيب شؤون الكون وفق مفاهيمه.

لكن العدائية التي وسمت صراع المعسكرين، الرأسمالي والاشتراكي، لم تمنع تقاطعهما، بين الحين والآخر، للعمل على عدم تفجير الصراع على مستوى الكون؛ فأدارا، معاً، عملية ضبط للنفس وللبؤر الساخنة في العالم، دون ان يمنع مثل هذا التعاون استمرار مساعي كل منهما الى توسيع حدود مجاله العسكري، والسياسي، والاقتصادي؛ وذلك وفقاً لما تسمح به موازين قوى المعسكرين، والتي من ضمنها استعداد شعوب العالم للالتحاق بهذا المعسكر أو ذاك.

وارتفع شعارا «محاربة الشيوعية» و «محاربة الرأسمالية» على اسوار كلا المعسكرين؛ وخارجهما كان النشاط دؤوباً لاستقطاب شعوب العالم الى هذا المعسكر أو ذاك بالوسائل كافة. ومع الوقت، أدى سباق التسلح الى استنزاف كلا المعسكرين، وان بدرجات متفاوتة، فبدأ، في العقدين الاخيرين، يغلب طابع التعاون، فيما بينهما، بما في ذلك التعاون للحد من التسلح (بدءاً بسالت ـ ١ الى اتفاقية ريغان ـ غورباتشيـوف على تخفيض الاسلحـة النووية). وشمل هذا الاتجاه، فيما شمل، التعاون على